في حدائق العرب

﴿ الحرب ﴾

الحرب رحى ثفالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، ونفاقها الاناة ، وزمامها الحذر . ولكلّ شيءٍ من هذه ثمرة : فثمرة الصبر التأييد ، وثمرة المكر الظفر ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الاناة اليُمن ، وثمرة الحذر السلامة . ولكل مقامٍ مقال ، ولكل زمانٍ رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأي فيها ابلغ من القتال

قال عُمر بن الخطاب لعمرو بن معدي كرب : « صف لنا الحرب » قال : « مُرّة المذاق اذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عُرف ، ومن نكل عنها تلف ، ثمّ انشأ يقول :

الحربُ اول ما تكون فتية تسعى بزينتها لكل جهولِ
حتى اذا حميت وشبّ ضرامها عادت عجوزاً غير ذات حليلِ
شمطاء جزّت رأسها وتنكرت مكروهةً للشمّ والتقبيلِ

وقال عنترة الفوارس : اول الحرب شكوى ، واوسطها نجوى ، وآخرها بلوى

وقال نصر بن سيار ، صاحب خراسان ، يصف مبتدأ الحرب :

أرى خللَ الرمادِ وميضَ نارٍ ويوشك أن يكونَ لها ضرامُ
فان النارَ بالعودين تذكى وان الحربَ اولها كلامُ

والعرب تقول : الحرب غشوم ، لأنها تنال غير الجاني

ومن اقوالهم : الشجاعة وقاية ، والجبن مقتلة

وقال هشام بن عبـد الملك لأخيهِ مسلمة : هل دخلك ذعرٌ قط لحربٍ او عدو؟ — قال : ما سلمتُ من ذعرٍ نبهني الى حيلة ، ولم يغشني ذعرٌ سلبني رأيي . — قال هشام : هذه والله البسالة

وكان يزيد بن المهلب يتمثل كثيراً في الحرب بقول حصين بن الحمام :

تأخرت استبقي الحياةَ فلم اجد　　لنفسي حياةً مثل ان أتقدما

وقال المهلب لبيته : عليكم بالمكيدة في الحرب ، فانها ابلغ من النجدة

وسئل اهل التمرين بالحرب : اي المكايد فيها احزم ؟ — قال : اذكاء العيون ، وافشاء الغلبة ، واستطلاع الاخبار ، واظهار السرور ، وامانة الفرق ، والاحتراس من المكايد الباطنة من غير استقصار لمستنصح ولا استناد لمستفشٍ ، واشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره

وكان قتيبـة بن مسلم يقول لاصحابه : اذا غزوتم فأطيلوا الاظفار وقصوا الشعر ، والحظوا الناس شزراً وكلموهم رمزاً واطعنوهم وخزاً

وكان أبو مسلم يقول لقواده : اشعروا قلوبكم الجرأة ، فانها من اسباب الظفر ، واكثروا ذكر الضغائن فانها تبعث على الاقدام ، والزموا الطاعة فانها حصن المحارب

وكانوا يتمادحون بالموت قطعاً ، ويتهاجون بالموت على الفراش ، ويقولون فيهِ « مات فلان حتف انفه » . ولما بلغ عبد الله بن الزبير مقتل أخيه قال : ان يقتل فقد قُتل أبوه وأخوه وعمه ، إنا والله لا نموت حتفاً ولكن قطعاً باطراف الرماح وموتاً تحت ظلال السيوف ، ومن ذلك قول السموأل : وما مات منا سيدٌ حتف انفه